رسوم متحركة عندي في البيت

أشياء رائعة تحدث في السابعة صباحا:

تنزل الدجاجة من ساعة الحائط ويتناثر الزرع

تدور العقارب في الاتجاه المعاكس

تلدغ رجليّ وتضحك

تبيض الدجاجة فنجان قهوة وجريدة

أستيقظ مذعورا وأصرخ: أين النجوم الملونة فوق رأسي؟

تصيح الدجاجة: ألم تعجبك السماء وأجنحة الملائكة؟

ألم تعجبك الغمامات؟

تهمهم العقارب: ألم يعجبك عمود الكهرباء الخجول؟

ألم يعجبك لقلاق بناية البريد؟

أصرخ: أريد النجوم أريد زهرة أريد المطر ووجوه من أحب...

أفتح نافذة البيت كي يدخل الهواء

ألمحني جالسا في شرفة المقهى المقابل للبيت

بلا شارب ولا قبعة وبلا يدين

أدخن سيكارا غليظا وأبتسم

أبتسم

أحييني وأعود إلى النوم

أحيانا تسقط التحية على الرصيف وتتكسر

حينما لا تتكسر يمر رجل ثخين ويدوسها بحذائه

أتألم

حين يغيب الثخين، تظهر عجوز تمشي ببطء وهي تجر كلبا مضحكا

يتبول على التحية

يتحول حمارا وحشيا دون أن تنتبه العجوز

نظاراتها تشبه قاع الكأس

وجهها مقلاة صدئة وهي بلا عيون

والكلب المضحك منذ البداية لم يكن كلبا

ولا تحوّل إلى حمار وحشي...

أنهض من طاولتي لألملم شظايا التحية

في منتصف الفكرة أكتشف أنني بلا يدين

أعود أدراجي مثل محارب لم يحمل في الجراب ما يكفي من شجاعة

مكان التحية تنبت شجرة صفصاف

وينبت أصدقاء كانوا معي في الجامعة وقتلوا

ينشق الرصيف فتخرج رؤوسهم

أجسادهم لدنة وعليها دم وأوساخ

يمسحون الغبار بأكفهم فيختفي الدم وتظهر الحقيقة

يمشون في اتجاهات متعاكسة

مبتسمين كأن أشياء رائعة تحدث

تمر فتاة صغيرة بلباس رث وأعواد ثقاب مبللة

تسأل المتسول الأعمى تحت شجرة الصفصاف: كم الساعة؟

يشير الأعمى إلى نافذتي

أغلقها بسرعة وأرتمي تحت الفراش

أرتعش فتسقط أواني المطبخ ومبادئي القديمة وتتشقق الجدران

تدخل الفتاة بدون أن تدق الباب

تضع علب الثقاب قرب المدفأة كي تجف

تجف روحها وتبكي

تدّعي أنها هربت من رسوم متحركة

تقول إنها تعبت:

لم يكن من داع لأن يموت والدها الثري فجأة

ولم يكن ضروريا أن تعيش في دار أيتام

المديرة فظة بلا قلب ولها معطف أسود طويل

والأطفال شياطين بأجنحة بيضاء

ثم إنهم جميعا غير مرسومين كما يجب

وهي تكنس الأرض وتنظف الغرفة وتدرس وتتضرع إلى الله...

وفي النهاية هي حرة ولا تريد أن تكمل

يأتي المتسول الأعمى إلى غرفتي

يخرج من جيوبه عينين لزجتين

يضعهما على وجهه كيفما اتفق

يقول إنه كان شخصا مهما

قبل أن تدور العقارب

يفتخر لأنه متسول أعمى تحت شجرة صفصاف

وليس موظفا في البنك

يتأسف لأن دجاجة الصباح أدخلته في حسابات تافهة

وهو يحب امرأة سمينة صادفها في بيت على البحر

داخل رواية بوليسية

لكن المؤلف أناني ويكتب فقط كي يعذب الناس

يأخذ راحته في غرفتي

تنبت صفصافته قرب سريري

هو متسول مغرور ونحن نصغي إليه

نموت ثم ننهض

وهو مازال يكرر أنه مسرور لأنه متسول أعمى تحت شجرة صفصاف

وليس شاعرا

فجأة تقف المدفأة وفي يدها عود ثقاب وتهددنا

تضحك الفتاة

يقهقه المتسول

تبتسم الجدران

يشتعل البيت

أصرخ:

أيها الأوغاد... أريد النجوم التي كانت فوق رأسي؟

الدار البيضاء/ 29 ابريل (نيسان) 2004